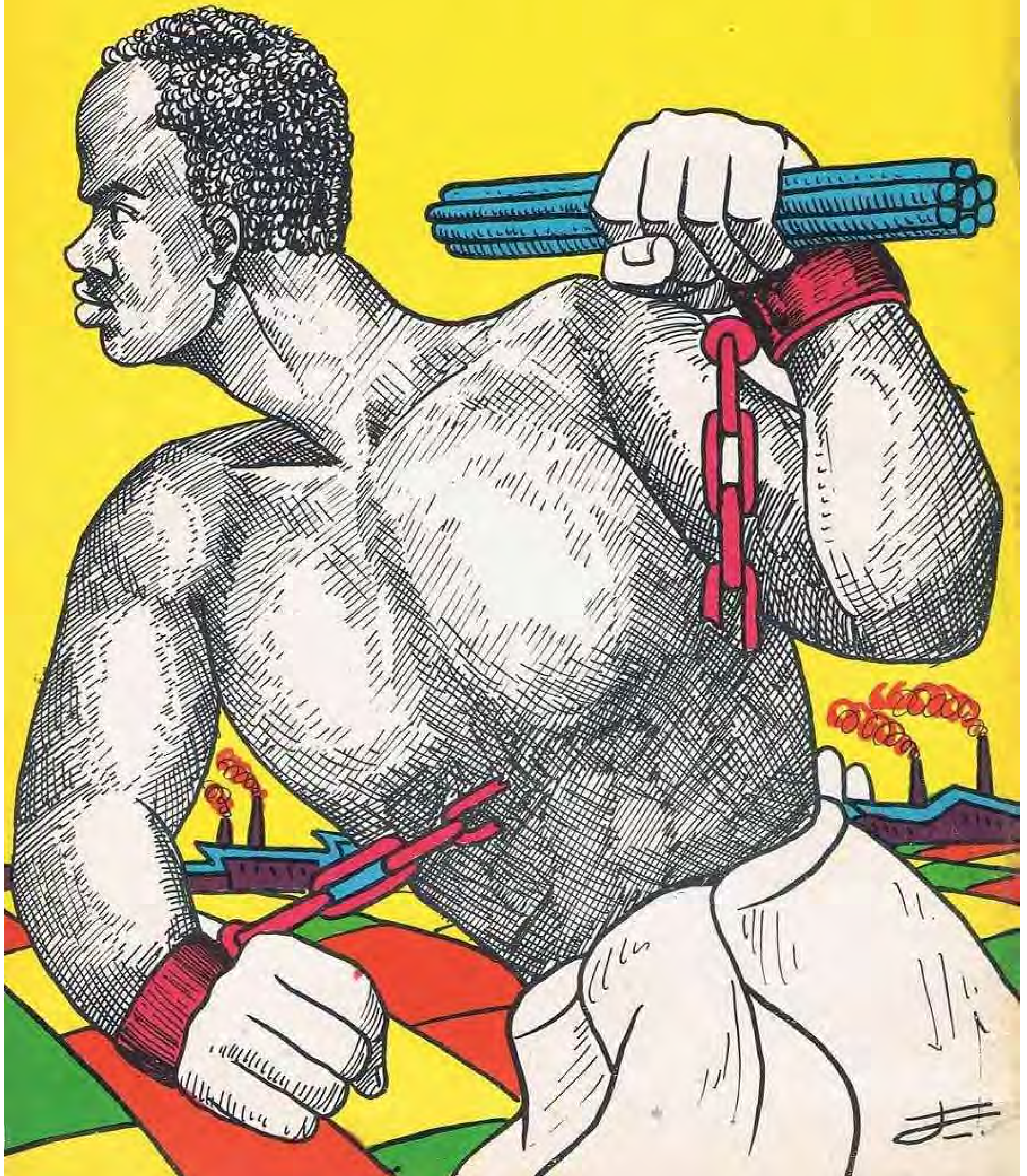
أرض الأحرار



حَدِيقَةُ الطِّفْلِ

أرضُ الأحرار

بِقَلَم

إبراهيم عزوز

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي (الفجالة) بالقاهرة

فى هذه الحديقة : تسلية ومتعة ، وجد وفكاهة ، وعلم ومعرفة ، وحقيقة وخيال .

فهى أشبه ما تكون بالحدائق والبساتين ، التى تجمع شتى الزهر ، ومختلف الشجر والثمر . ولكل وردة منها رائحة طيبة عطرة ، ولكل ثمرة مذاق وحلاوة . وكلها تشتهيه النفس ، وتقر به العين .

وقد تخيرت لها من الموضوعات والأساليب ، ما يناسب صغار النش ، من سن التاسعة إلى الثانية عشرة ، مراعيا فى كل ذلك الأصول النفسية والتربوية .

ثم تولاها السيد الناشر بالإخراج الرائع ، فأبرز محاسنها بجمال التصوير ، وروعة الخط ، وإتقان الطبع . فجاءت فى هذه الصورة المونقة المعجبة ، لتربى الذوق والقلب والعقل جميعا .

وعسى الله أن يجعل النفع بها ، كفاء ما لقيت فيها من عناء ، وما بذلت من جهد . ومن الله العون وبه التوفيق .

المؤلف

— ١ —

فِي جُمْهُورِيَّةِ مَالِي ، وَهِيَ إِحْدَى الْجُمْهُورِيَّاتِ
الَّتِي تَقَعُ عَلَى نَهْرِ النَّيْجَرِ ، نَزَلَ الْمُهَنْدِسُ الْعَرَبِيُّ
« جَمَالٌ » . وَكَانَتِ الْجُمْهُورِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ
الْمُتَّحِدَةُ قَدْ أَرْسَلَتْهُ إِلَى مَالِي ، تَلْبِيَةً لِطَلَبِ
حُكُومَتِهَا ، لِيَبْحَثَ عَدَدًا مِنَ الْمَشْرُوعَاتِ الصِّنَاعِيَّةِ
الْكَبِيرَةِ ، الَّتِي تَنْوِي الْحُكُومَةُ تَنْفِيذَهَا ، وَلَا تَأْمَنُ
عَلَيْهَا الْمُهَنْدِسِينَ الْأُورُوبِّيِّينَ ، الَّذِينَ يَخْدُمُونَ الِاسْتِعْمَارَ

وَلا يُنَفِّذُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا فِيهِ النَّفْعُ الْخَالِصُ لَهُمْ وَلِبِلادِهِمْ !!

عَرَفَ جَمَالٌ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ هَذِهِ الْجُمْهُورِيَّةِ النَّاشِئَةِ ، وَانْتَفَعَ بِالتَّوْجِيهَاتِ وَالتَّعْلِيمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا فِي الْقَاهِرَةِ قَبْلَ سَفَرِهِ ، فَأَخْلَصَ فِي خِدْمَتِهِ ، وَوَصَلَ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ فِي الْبَحْثِ وَالدِّرَاسَةِ . وَأَشْرَكَ مَعَهُ أَبْنَاءَ الْبِلادِ الْوَطَنِيِّينَ فِي الدَّرْسِ ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى كُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ فِي عَمَلِهِ ، فَزَادَ اطْمِئْنَانُهُمْ إِلَيْهِ ، وَإِعْجَابُهُمْ بِهِ ، وَعَرَفُوا أَنَّ الْقَاهِرَةَ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تُخْلِصُ لَهُمْ

وَنُحِبُّهُمْ ، وَتَتَمَنَّى أَنْ يُصْبِحُوا قُوَّةً إِفْرِيقِيَّةً كَبِيرَةً ، تَقِفُ أَمَامَ الدُّوَلِ الظَّالِمَةِ ، الَّتِي تُحَاوِلُ أَنْ تُحَطِّمَ كُلَّ دَوْلَةٍ نَاشِئَةٍ ، وَأَنْ تُعَطِّلَ نَشَاطَهَا ، وَتُعَوِّقَ سَيْرَهَا إِلَى الْأَمَامِ ! !



الْتَفَّتِ الْقُلُوبُ حَوْلَ الْمُهَنْدِسِ جَمَالٍ ، وَوُجِّهَتْ إِلَيْهِ الدَّعَوَاتُ مِنَ الْأُسَرِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْهَيْئَاتِ الرَّسْمِيَّةِ ، وَمِنْ مُعَاوِنِيهِ وَمُسَاعِدِيهِ فِي الْعَمَلِ . وَكَانَ هُوَ سَعِيدًا كُلَّ السَّعَادَةِ بِهَذَا التَّقْدِيرِ ، وَهَذَا الْحُبِّ وَالِاحْتِرَامِ ! !

وَفِى أَحَدِ أَيَّامِ رَاحَتِهِ ، لَبَّى دَعْوَةَ صَدِيقِهِ مَمَادُو إِلَى نُزْهَةٍ فِى نَهْرِ النَّيْجَرِ ، الَّذِى يَخْتَرِقُ جُمْهُورِيَّةَ مَالِى ، مِنَ الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الشِّمَالِ الشَّرْقِيِّ ، وَيَرْوِى فِيهَا أَرْضًا كَثِيرَةً . . وَكَانَ مَمَادُو قَدِ اسْتَعَدَّ لِهَذِهِ النُّزْهَةِ مِنْ قَبْلُ ، فَجَهَّزَ زَوْرَقًا جَمِيلًا ، مَصْنُوعًا مِنْ خَشَبِ الْبَابْوَابِ ، الَّذِى تَنْبُتُ أَشْجَارُهُ بِكَثْرَةٍ فِى غَابَاتِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَبِخَاصَّةٍ غَابَاتُ إِفْرِيقِيَةَ الْغَرْبِيَّةِ ، الَّتِى مِنْهَا جُمْهُورِيَّةُ مَالِى . . وَهِىَ أَشْجَارٌ ذَاتُ خَشَبٍ مَتِينٍ ، وَضَخَامَةٍ هَائِلَةٍ ، لَا يُمَاثِلُهَا فِيهَا

شَجَرٌ آخَرُ !!

رَكِبَا الزَّوْرَقَ ، وَنَشَرَ أَحَدُ الْمَلَّاحِيْنِ شِرَاعَهُ، وَأَمْسَكَ الْآخَرُ دَفَّتَهُ ، مُوَجِّهاً إِيَّاهُ حَيْثُ يُرِيدُ مَمَادُو .

وَكَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَرَى الْمَرَاعِيَ تَمْتَدُّ إِلَى مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ عَلَى ضِفَّتَيِ النَّهْرِ ، وَقُطْعَانُ الْمَاشِيَةِ تَمْرَحُ هُنَا وَهُنَاكَ بَيْنَ الْمَرَاعِي ، وَقَدْ تَلَوَّنَتْ أَرْجُلُهَا وَظُهُورُهَا فِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ بِلَوْنِ التُّرْبَةِ الْأَحْمَرِ .

أَطَالَ جَمَالُ النَّظَرَ إِلَى هَذِهِ الْقُطْعَانِ ،

وَهٰذِهِ التُّرْبَةِ الْحَمْرَاءِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ تَفْكِيرٍ :

ـ مَا أَغْنَى بِلَادَكُمْ يَاصَدِيقِي مَمَادُو !!

إِنَّ مُسْتَقْبَلاً عَظِيماً يَنْتَظِرُهَا !!

وَكَانَ مَمَادُو قَدْ تَعَلَّمَ فِي إِحْدَى الْمَدَارِسِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا فَرَنْسَا فِي بِلَادِهِ مِنْ قَبْلُ..

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدَارِسُ تَتَعَمَّدُ أَنْ نُعَلِّمَ تَلَامِيذَهَا أَنَّ وَطَنَهُمْ فَقِيرٌ ، وَأَنَّهُ لَايَصْلُحُ لِصِنَاعَةٍ ، وَأَنَّ الْمَرَاعِيَ هِيَ كُلُّ ثَرْوَةٍ يَمْلِكُونَهَا . . حَتَّى أَشْجَارُ الْغَابَاتِ ، كَانُوا يُعَلِّمُونَهُمْ أَنَّ خَشَبَهَا أَرْدَأُ أَنْوَاعِ الْخَشَبِ ، وَأَنَّهُ لَايُمْكِنُ أَنْ يُسْتَخْدَمَ

فِي شَيْءٍ غَيْرِ الْوَقُودِ !!

كَانُوا يُعَلِّمُونَهُمْ هَذَا ، لِيُفْقِدُوهُمُ الثِّقَةَ بِأَرْضِهِمْ وَبِأَنْفُسِهِمْ ، كَمَا كَانَ الْإِنْجِلِيزُ يُعَلِّمُونَ الْمِصْرِيِّينَ أَنَّ بَلَدَهُمْ زِرَاعِيٌّ ، وَأَنَّ الصِّنَاعَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْجَحَ فِي مِصْرَ ، لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ مِنَ الْمَعَادِنِ ، وَبِخَاصَّةٍ الْفَحْمُ وَالْحَدِيدُ ، اللَّذَانِ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا كُلُّ صِنَاعَةٍ . وَقَدْ ظَهَرَ الْآنَ مَكْرُهُمْ وَخِدَاعُهُمْ !!

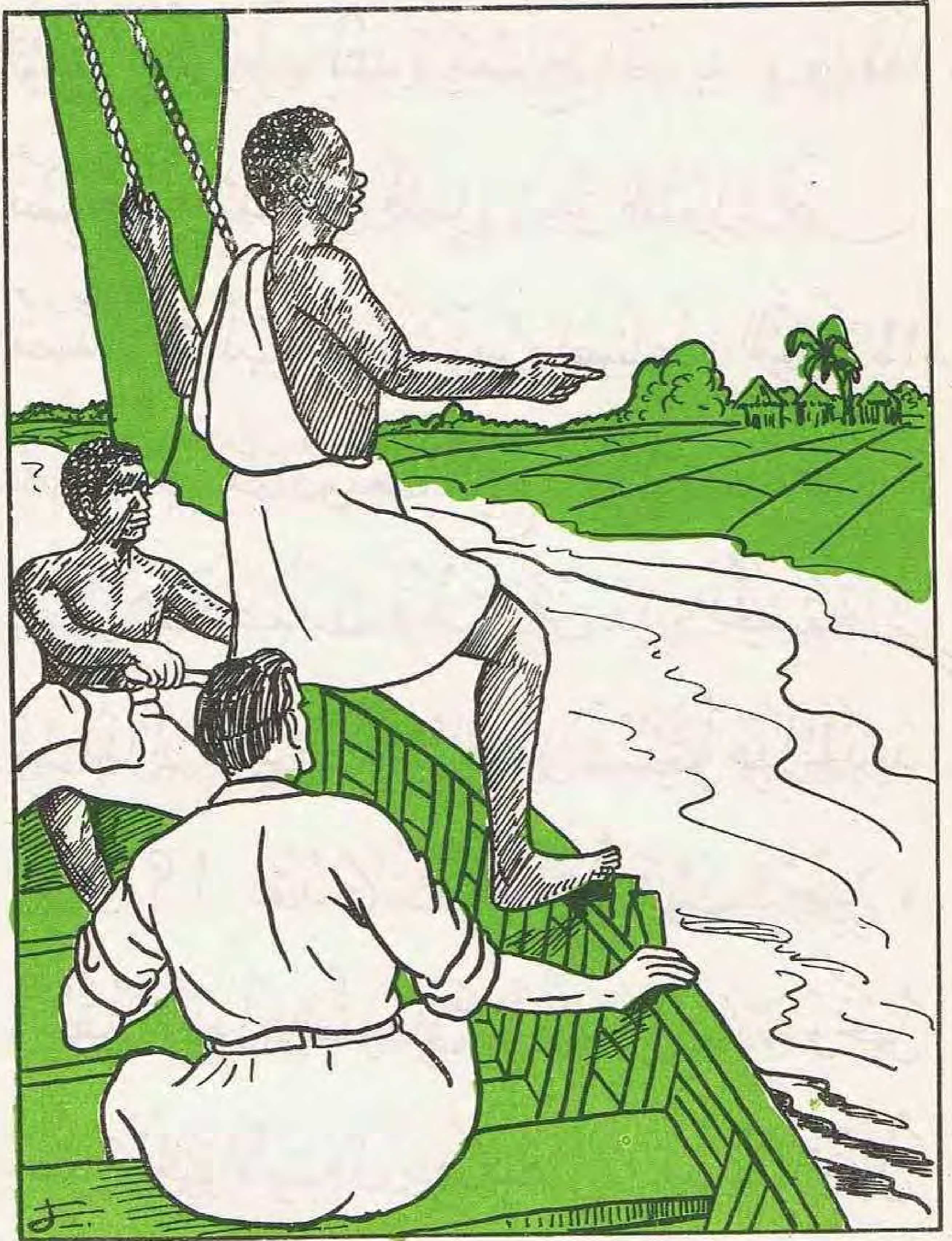
❁ ❁ ❁

سَمِعَ مَمَادُو كَلَامَ الْمُهَنْدِسِ جَمَالٍ فَأَشْرَقَ وَجْهُهُ ، وَقَالَ بِفَرْحَةٍ ظَاهِرَةٍ :

إِنَّكَ يَاصَدِيقِي مُنْذُ حَلَلْتَ بَيْنَنَا ، مَلَأْتَ نُفُوسَنَا أَمَلاً فِي حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ .. فَمَاذَا رَأَيْتَ الْآنَ فِي أَرْضِنَا وَسَمَائِنَا ؟!

فَابْتَسَمَ جَمَالٌ وَأَشَارَ إِلَى التُّرْبَةِ الْحَمْرَاءِ وَقَالَ:

ـــ إِنَّ تُرَابَكُمْ ذَهَبٌ يَامَمَادُو !! بَلْ أَغْلَى مِنَ الذَّهَبِ !! أَتَدْرِى مِمَّ تَتَكَوَّنُ تُرْبَتُكُمُ الْحَمْرَاءُ ؟! إِنَّهَا مِنْ مَعْدِنِ الْحَدِيدِ فِي صُورَةٍ مِنْ صُوَرِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ . . وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ إِلَّا أَنْ تَسْتَغِلُّوا مَسَاقِطَ الْمِيَاهِ فِي هَذَا النَّهْرِ ، عِنْدَ كُلِّ شَلَّالٍ مِنْ شَلَّالَاتِهِ الْكَثِيرَةِ ـ تَسْتَغِلُّونَهَا فِي



وأشار إلى التربة الحمراء وقال .. ص ١٠

نَوْلِيدِ الْكَهْرَبَا ، لِتُدِيرَ مَصَانِعَ الْحَدِيدِ ، وَبِهَذَا نُصْبِحُونَ بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي تُصَدِّرُ الصُّلْبَ ، وَتَشْتَهِرُ بِالصِّنَاعَاتِ الثَّقِيلَةِ !!

تَعَجَّبَ مَمَادُو مِمَّا سَمِعَ ، وَقَالَ بِحَسْرَةٍ :

— وَكَيْفَ غَفَلَتْ فَرَنْسَا عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ ؟ وَلِمَاذَا لَمْ نُنْشِئِ الْمَصَانِعَ الَّتِي تَسْتَغِلُّ هَذَا الْحَدِيدَ يَا أَخِي ؟! لَقَدْ كَانَتْ تَسْتَغِلُّ زَيْتَ النَّخِيلِ ، وَتَنْقُلُ الْفُولَ السُّودَانِيَّ إِلَى مَصَانِعِهَا ، وَتَحْمِلُ جُلُودَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَى بِلَادِهَا .. وَكَانَتْ تَنْقُلُ غَلَّاتِ الزِّرَاعَةِ وَالْمَرَاعِي ، وَلَا تَتْرُكُ لَنَا مِنْهَا إِلَّا

الْقَلِيلَ . . وَكَانَ تُرَابُنَا خَيْرًا لَهَا مِنْ هَذَا كُلِّهِ !!

ثُمَّ تَنَبَّهَ لِشَىْءٍ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ تَنَفَّسَ نَفَسًا

مُرِيحًا :

ـ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ !! لَقَدْ عَمِيَتْ أَعْيُنُهُمْ عَنْ هَذَا

الْخَيْرِ الْكَثِيرِ ، الَّذِى تَحْفَظُهُ تُرْبَتُنَا الْغَالِيَةُ ،

لِنَسْتَغِلَّهُ لِأَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا الْآنَ ، بَعْدَ أَنْ تَحَرَّرْنَا

وَنِلْنَا اسْتِقْلَالَنَا !!

فَابْتَسَمَ جَمَالٌ ابْتِسَامَةً أُخْرَى وَقَالَ :

ـ لَا يَا صَدِيقِى !! إِنَّ أَعْيُنَهُمْ لَمْ تَعْمَ عَنْ

تُرْبَتِكُمْ كَمَا تَقُولُ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مِثْلَ غَيْرِهِمْ

مِنَ الْمُسْتَعْمِرِينَ الأُورُوبِّيِّينَ ، يَعْرِفُونَ كُلَّ شِبْرٍ
فِي أَرْضِ إِفْرِيقِيَّةَ الَّتِي يَسْتَعْمِرُونَهَا وَيَسْتَغِلُّونَهَا..
وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيَبْقَوْنَ أَصْحَابَ السِّيَادَةِ
فِي قَارَّتِنَا مِئَاتِ السِّنِينَ ، وَلِهَذَا كَانُوا يَضَعُونَ
الْخُطَطَ الْمُنَظَّمَةَ لِلاسْتِغْلالِ الطَّوِيلِ الْبَطِيءِ..

كَانَ الْمُهَنْدِسُ جَمَالٌ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي حَدِيثِهِ
عَنْ مَسَاوِئِ الاسْتِعْمَارِ الأُورُوبِّيِّ فِي إِفْرِيقِيَّةَ ،
وَعَنِ الْمُسْتَقْبَلِ الْمُشْرِقِ الَّذِي يَنْتَظِرُ كُلَّ بَلَدٍ مِنْ
بِلادِهَا النَّاهِضَةِ ، وَلَكِنَّهُ لاحَظَ أَنَّ الْمَلاحَيْنِ
لَمْ يَكْتَفِيَا بِالشِّرَاعِ ، بَلْ أَمْسَكَا الْمَجَادِيفَ فَجْأَةً ،

وَرَاحَا يُقَدِّفَانِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، وَنَشَاطٍ عَجِيبٍ ، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِمَا رُعْبٌ وَفَزَعٌ وَاضْطِرَابٌ ! !

— ٢ —

فَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ الزَّوْرَقَ يَتَعَرَّضُ لِخَطَرِ عَاصِفَةٍ مِنَ الْعَوَاصِفِ ، مَعَ أَنَّ النَّهْرَ كَانَ هَادِئاً سَاكِناً ، وَالْهَوَاءَ كَانَ نَسِيماً لَيِّناً ، فَنَظَرَ إِلَى مَمَادُو مُسْتَفْهِماً ! !

فَأَغْرَقَ مَمَادُو فِي الضَّحِكِ ، وَقَالَ لِجَمَالٍ :

— لَا تَخَفْ يَا صَدِيقِي ، فَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ مَا يُخِيفُ !!

وَأَشَارَ إِلَى مِسَاحَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ وَقَالَ :

ـــ انْظُرْ !! إِنَّهُمَا مُنْزَعِجَانِ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ !!

نَظَرَ جَمَالُ حَيْثُ أَشَارَ مَمَادُو بِيَدِهِ ، فَرَأَى قِطْعَةَ أَرْضٍ مُسْتَطِيلَةَ الشَّكْلِ ، تُحِيطُ بِهَا الْمَرَاعِي ، وَتَكْتَنِفُهَا حُقُولُ الْفُولِ السُّودَانِيِّ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُجْدِبَةً مُقْفِرَةً ، وَقَدْ تَنَاثَرَتْ فَوْقَهَا أَعْوَادُ الذُّرَةِ الْجَافَّةِ ، الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا فِي مَوْضِعِهَا سِنُونَ وَسِنُونَ !!

وَمَعَ ذَكَاءِ جَمَالٍ ، لَمْ يَفْهَمْ شَيْئاً مِمَّا قَصَدَهُ مَمَادُو ، فَقَالَ لَهُ :

ـــ لَقَدْ أَوْقَعْتَنِي يَاصَدِيقِي فِي حَيْرَةٍ أَشَدَّ وَأَنْكَى ، إِذْ أَنَّنِي لَمْ أَرَ شَيْئاً يَسْتَدْعِي اضْطِرَابَ

هَذَيْنِ الْمَلاَّحَيْنِ ! !

فَضَحِكَ ممادُو ضحكَةً أُخْرَى ، وَأَشَارَ إِلَى أَكْبَرِ الْمَلاَّحَيْنِ وَقَالَ :

ـ أَخْبِرْهُ يا أَمَاجِى عَنْ سَبَبِ اضْطِرَابِكَ وَخَوْفِكَ ! !

وَكَانَ الزَّوْرَقُ فِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَدِ اجْتَازَ الْأَرْضَ الْجَدْبَاءَ ، وَهَدَأَتْ حَرَكَتُهُ قَلِيلاً ، لِأَنَّ الْمَلاَّحَيْنِ تَرَكَا التَّجْدِيفَ وَعَادَا إِلَى مَكَانَيْهِمَا . . فَقَالَ أَمَاجِى وَهُوَ يَتَنَفَّسُ نَفَساً مُرِيحاً :

ـــ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ! لَقَدِ اجْتَزْنَا الْأَرْضَ الْمَلْعُونَةَ

بِسَلَامٍ ! !

وَعِنْدَ ئِذٍ أَدْرَكَ جَمَالٌ أَنَّ لِهَذِهِ الْأَرْضِ

قِصَّةً ، فَزَادَ شَوْقُهُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا ، وَأَرَادَ أَنْ

يَحْمِلَ أَمَاجِى عَلَى حِكَايَتِهَا ، فَقَالَ لَهُ :

ـــ يَاأَخِى . . لَيْسَ فِى إِفْرِيقِيَّةَ الْآنَ أَرْضٌ

مَلْعُونَةٌ . . إِنَّ كُلَّ شِبْرٍ فِى أَرْضِهَا أَصْبَحَ مُقَدَّسًا

حِينَمَا رَجَعَتْ أَرْضُهَا مِلْكًا خَالِصًا لِأَبْنَائِهَا

الْأَحْرَارِ . . رُبَّمَا كَانَتْ فِيهَا أَرْضٌ مَلْعُونَةٌ فِيمَا

مَضَى ، عِنْدَمَا كَانَ الْأُورُوبِّيُّونَ يَحْتَلُّونَهَا وَيَسْتَعْمِرُونَهَا ،

لِأَنَّ لَعْنَةَ السَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ بَلَدٍ يَرْضَى أَبْنَاؤُهُ أَنْ يَظَلَّ خَاضِعاً لِلاسْتِعْمَارِ !!

وَهُنَا قَالَ أَمَاجِى بِسَذَاجَةٍ فِطْرِيَّةٍ :

ـــ صَدَقْتَ يَاسَيِّدِى الْمُهَنْدِس !! وَهَـٰذِهِ الْأَرْضُ مَلْعُونَةٌ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِلْكاً لِأَبْنَاءِ مَالِى ، وَإِنَّمَا هِىَ مِلْكٌ لِلْجِينَارُو !!

وَزَادَ اضْطِرَابُهُ وَخَوْفُهُ ، وَقَالَ بِفَزَعٍ مَابَعْدَهُ فَزَعٌ :

ـــ أُوه يَاسَيِّدِى !! لَقَدْ جَعَلْتَنِى أَنْطِقُ هَذَا الِاسْمَ الْمُخِيفَ الْمُرْعِبَ !!

تَرَكَهُ جمالُ فِي فَزَعِهِ ، وَاتَّجَهَ إِلَى مَمادُو

وَقَالَ لَهُ :

ــ ماهَذَا الْجِينارُو الَّذِى أَزْعَجَ صَدِيقَنَا

الشُّجَاعَ ؟!

وَقَبْلَ أَنْ يُجِيبَ مَمَادُو ، صَاحَ أَمَاجِى بِتَوَسُّلٍ:

ــ أَرْجُوكَ يَاسَيِّدِى الْمُهَنْدِس أَلاَّ تَذْكُرَ هَذَا الِاسْمَ

بِلِسَانِكَ ! ! إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكَ شَرُّهُ الْخَطِيرُ،

وَأَنْتَ أَغْلَى عَلَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ! !

إبْتَسَمَ مَمادُو ابْتِسَامَةً كَشَفَتْ أَسْنَانَهُ ذَاتَ

الْبَيَاضِ النَّاصِعِ ، وَقَالَ لِجَمالٍ :

إِنَّهُمْ نَوْعٌ مِنَ الْجِنِّ يَمْلِكُونَ هَذِهِ الْأَرْضَ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ ، وَقَدْ نَشَأْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا نَعْتَقِدُ هَذَا الِاعْتِقَادَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ وَاحِدٌ مِنَّا أَنْ يَسْتَغِلَّ هَذَا الْحَقْلَ الْكَبِيرَ الْمُمْتَدَّ عَلَى النَّهْرِ ، خَوْفَ أَنْ يُصِيبَهُ ضَرَرٌ وَشَرٌّ !!

فَقَالَ جَمَالٌ وَهُوَ لَا يُخْفِي عَجَبَهُ وَدَهْشَتَهُ :

ـــ إِنَّكُمْ يَا أَخِي لَمْ تَرْهَبُوا مَدَافِعَ الْفَرَنْسِيِّينَ وَطَائِرَاتِهِمْ ، فَكَيْفَ تَرْهَبُونَ الْجِينَارُو ؟!

وَتَعَمَّدَ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ ، وَيُبْرِزَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ كَلِمَةِ الْجِينَارُو ، لِيُؤَكِّدَ لَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ خَائِفٍ ، وَأَنَّ الْجِينَارُو لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ !!

وَكَانَ مَمَادُو يَتَرَدَّدُ بَيْنَ التَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي تَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ الشَّعْبِ الْمَالِي، لِأَنَّهُ سَمِعَهَا فِي طُفُولَتِهِ فَصَدَّقَهَا، ثُمَّ تَثَقَّفَ عَقْلُهُ بِالْعُلُومِ فَأَصْبَحَ يَشُكُّ فِي صِدْقِهَا، وَلَكِنَّهُ مَعَ هَذَا الشَّكِّ، لَمْ يُكَذِّبْهَا تَكْذِيباً تَامّاً.. وَلِهَذَا ظَهَرَتْ مُوَافَقَتُهُ لِجَمَالٍ فِيمَا قَالَ!!

وَلَكِنَّ أَمَاجِي انْدَفَعَ يَقُولُ:

— لَا يَاسَيِّدِي الْمُهَنْدِس!! إِنَّ هَذَا الْخَبِيثَ مَوْجُودٌ، وَإِنَّهُ يَمْلِكُ هَذِهِ الْأَرْض!!

وَهَلْ تُرِيدُ دَلِيلاً عَلَى وُجُودِهِ وَمِلْكِيَّتِهِ

غَيْرَ أَعْوَادِ الذُّرَةِ الْجَافَّةِ الَّتِى رَأَيْنَاهَا هُنَاكَ ! !
لَقَدْ حَاوَلَ سَابُونَا أَنْ يَزْرَعَهَا فَلَقِىَ شَرَّ جَزَاءٍ ،
وَبَقِيَتِ الْأَرْضُ خَالِيَةً جَدْبَاءَ كَمَا رَأَيْتَ يَا سَيِّدِى !!

شَعَرَ جَمَالٌ بِأَنَّ الْقِصَّةَ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ طَرِيفَةً
وَمُسَلِّيَةً ، فَقَالَ لِأَمَاجِى وَهُوَ يُظْهِرُ الِاهْتِمَامَ بِهِ
وَالتَّصْدِيقَ لَهُ :

ـــ وَمَاذَا حَدَثَ لِسَابُونَا ؟ ! إِنَّنِى أَظُنُّهُ كَانَ
وَاحِداً مِنْ أَبْطَالِ مَالِى الْمُكَافِحِينَ ! !

ـ ٣ ـ

وَهُنَا تَشَجَّعَ أَمَاجِى وَنَسِىَ خَوْفَهُ مِنَ الْجِبنَارُو ،

وَرَاحَ يَقُولُ :

ـ كَانَ سَابُونَا فَلَّاحًا ، يُحِبُّ الْأَرْضَ كَمَا يُحِبُّهَا كُلُّ فَلَّاحٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ طَمَّاعًا شَدِيدَ الطَّمَعِ ، حَتَّى إِنَّهُ حَرَمَ أَخَاهُ الصَّغِيرَ مِنْ حَقِّهِ فِي الْمَزْرَعَةِ الَّتِي تَرَكَهَا لَهُمَا أَبُوهُمَا . . وَكَانَ كُلُّ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ يَعْرِفُونَ طَمَعَهُ ، وَيَكْرَهُونَهُ وَيَنْفِرُونَ مِنْهُ !!

وَذَاتَ يَوْمٍ تَرَكَ مَزْرَعَتَهُ الصَّغِيرَةَ ، الَّتِي كَانَ يَقْضِي فِيهَا نَهَارَهُ كُلَّهُ فِي عَمَلٍ مُتَّصِلٍ ، وَحَمَلَ بَعْضَ الْخُضَرِ الَّتِي جَمَعَهَا مِنْهَا ، وَسَارَ إِلَى

الْمَدِينَةِ الْقَرِيبَةِ لِيَبِيعَهَا .. سَارَ إِلَى تُمْبُكْتُو الَّتِى كَانَتْ أَكْبَرَ مُدُنِنَا التِّجَارِيَّةِ فِى ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَكَانَتْ تَتَقَابَلُ فِيهَا الْقَوَافِلُ الْآتِيَةُ مِنْ شِمَالِ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْجَزَائِرِ ، بِتُجَّارِ الْجَنُوبِ مِنْ أَوَاسِطِ إِفْرِيقِيَّةَ وَالسُّودَانِ .

وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ ، وَيُمَنِّى نَفْسَهُ بِرِبْحٍ وَافِرٍ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِى رَأَيْنَاهَا مُنْذُ قَلِيلٍ .. وَكَانَ الْخِصْبُ يَبْدُو فِى كُلِّ شِبْرٍ مِنْهَا ، حَتَّى دَهِشَ سَابُونَا وَتَعَجَّبَ مِنْ غَفْلَةِ السُّكَّانِ الَّذِينَ يُحِيطُونَ بِهَا ، وَأَخَذَ يَقُولُ فِى

نَفْسِهِ :

ـ ما أَغْبَى هؤُلاءِ النَّاسَ ! ! إِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ الْخُرَافَاتِ ، وَيَتْرُكُونَ هَذَا الْحَقْلَ الْخِصْبَ دُونَ زِرَاعَةٍ ـ يَتْرُكُونَه لِأَنَّهُ حَقْلُ الْجِينَارُو فِي اعْتِقَادِهِمْ ! ! وَوَقَفَ طَوِيلاً عَلَى حَافَةِ الْحَقْلِ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَيُفَكِّرُ فِيهِ ، حَتَّى إِنَّهُ نَسِيَ أَنَّ مَا يَحْمِلُهُ مِنَ الْخُضَرِ قَدْ يُصِيبُهُ التَّلَفُ بِسَبَبِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ ، إِذَا اسْتَمَرَّ وَاقِفاً . .

وَأَخِيراً قَالَ فِي نَفْسِهِ :

ـ سَأَزْرَعُ هَذَا الْحَقْلَ ، وَسَأَمْلِكُهُ مَادَامَ

النَّاسَ قَدْ تَرَكُوهُ لِلْجِبْنَارُو ! !

وَاقْتَحَمَ الْحَقْلَ ، وَقَطَعَهُ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ ، وَمِنَ الشِّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ ، وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :

— أَنَا هُنَا أَيُّهَا الْجِبْنَارُو ! ! إِنْ كُنْتَ شُجَاعًا فَاظْهَرْ لِي ، أَوْ حَاوِلْ أَنْ تُعَوِّقَنِي عَنِ السَّيْرِ .. إِنَّنِي الْآنَ أَمْشِي فِي حَقْلِكَ ، وَغَدًا سَتَرَانِي أَحْرُثُهُ وَأَزْرَعُهُ ، فَاجْمَعْ أَعْوَانَكَ وَمُسَاعِدِيكَ وَامْنَعْنِي إِذَا قَدَرْتَ ! !

وَلَمَّا لَمْ يَرَ الْجِبْنَارُو ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّ شَيْئًا

يَقِفُ فِي طَرِيقِهِ أَوْ يَصُدُّهُ عَنْ رَغْبَتِهِ ، سَارَ إِلَى تُمْبُكْتُو لِيَبِيعَ أَوَّلاً مَا جَمَعَهُ مِنْ خُضَرِ مَزْرَعَتِهِ !!



وَفِي آخِرِ النَّهَارِ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يَكَادُ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ ، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ زَوْجَتَهُ بِكُلِّ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فِي صَبَاحِ الْغَدِ !!

وَهُنَا قَالَ جَمَالٌ وَهُوَ يُظْهِرُ إِعْجَابَهُ الشَّدِيدَ بِسَابُونَا :

ـــ يَالَهُ مِنْ شُجَاعٍ ذَكِيٍّ !! إِنَّهُ أَدْرَكَ الْحَقِيقَةَ الَّتِي كَانَ يَجِبُ أَنْ يُدْرِكَهَا أَبْنَاءُ مَالِي جَمِيعًا مُنْذُ زَمَانٍ

طَوِيلٍ مَضَى .. أَدْرَكَ أَنَّ الْجِبنارُو لاَوُجُودَ لَهُ إِلاَّ فِي خَيالِ الْخائِفِينَ !!

فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَماجِي نَظْرَةَ عِتابٍ ، وَقالَ :

ــ مَعْذِرَةً ياسَيِّدِي الْمُهَنْدِس !! لَقَدْ تَسَرَّعْتَ فِي حُكْمِكَ ، وَلَوِ انْتَظَرْتَ حَتَّى سَمِعْتَ نِهايَةَ قِصَّتِهِ ، لَحَزِنْتَ أَشَدَّ الْحُزْنِ لِما أَصابَ هـذا الْمِسْكِينَ !!

فَضَحِكَ جَمالُ، وَضَحِكَ مَعَهُ مَمادُو ، وَاسْتَمَرَّ أَماجِي يُكَمِّلُ قِصَّتَهُ فَقالَ :

ــ ماكادَتْ زَوْجَةُ سابُونا تَعْرِفُ ماعَزَمَ عَلَيْهِ،

حَتَّى خَرَجَتْ إِلَى الطَّرِيقِ ، وَرَاحَتْ تَصْرُخُ وَتُوَلْوِلُ ، وَتَسْتَعِينُ بِالْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ ؛ لِيَمْنَعُوا زَوْجَهَا مِمَّا يُرِيدُ !!

وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي دَارِ سَابُونَا ، وَأَخَذَ السَّحَرَةُ يُخَوِّفُونَهُ ، وَيُصَوِّرُونَ لَهُ قُوَّةَ الْجِبنارُو وَبَطْشَهُ ، وَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَصْرِفُوهُ عَنْ عَزْمِهِ . . وَلَكِنَّهُ يَاسَيِّدِي كَانَ عَنِيداً وَطَمَّاعاً ، فَقَالَ لِلْجَمِيعِ :

ـــ لَاتُحَاوِلُوا أَنْ تَمْنَعُونِي ! ! إِنِّي أَمْلِكُ قُوَّةً أَعْظَمَ مِنْ قُوَّةِ الْجِبنارُو ، وَمِنْ حَقِّي مَادُمْتُ قَوِيّاً أَنْ أَطْرُدَهُ مِنْ أَرْضِهِ ، وَأَنْ أَزْرَعَهَا وَأَمْلِكَهَا . . إِنَّ

صَاحِبَ الْقُوَّةِ ، هُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا!!

فَقَالَ الْمُهَنْدِسُ جَمَالٌ :

ـ عَجَبًا لِسَابُونَا !! إِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةٍ تُشْبِهُ لُغَةَ الأُورُوبِّيِّينَ الْمُسْتَعْمِرِينَ ، حِينَمَا نَزَلُوا إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاسْتَعْمَرُوهَا !!

وَهُنَا تَنَبَّهَ مَمَادُو إِلَى الْمُشَابَهَةِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَ قِصَّةِ سَابُونَا ، وَقِصَّةِ الِاسْتِعْمَارِ ، فَهَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ مُبْتَسِمًا :

ـ أَوْهِ يَاصَدِيقِي جَمَالًا ! لَقَدْ نَبَّهْتَنِي إِلَى شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَا كُنْتُ مُتَنَبِّهًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ..

وَلَكِنَّ أَمَاجِى لَمْ يَتْرُكْ مَمَادُو يُتِمَّ حَدِيثَهُ،

وَرَاحَ يَقُولُ :

ـ ٤ ـ

وَفِى صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِى كَانَ سَابُونَا يَحْمِلُ

فَأْسَهُ ، وَيَسِيرُ إِلَى حَقْلِ الْجِينَارُو .. وَكَانَ

يُغَنِّى وَهُوَ سَائِرٌ ، وَكَانَ يَرْقُصُ مِنَ الطَّرَبِ

كُلَّمَا تَخَيَّلَ أَنَّهُ سَيُصْبِحُ بَعْدَ قَلِيلٍ صَاحِبَ مَزْرَعَةٍ

فَسِيحَةٍ ، تُنْبِتُ لَهُ الذُّرَةَ وَالْفُولَ السُّودَانِىَّ ،

وَرُبَّمَا أَنْبَتَتْ أَشْجَارَ الْكَاكَاوِ ، وَنَخْلَ الزَّيْتِ!!

وَلَكِنَّهُ حِينَمَا وَصَلَ إِلَى الْحَقْلِ أَحَسَّ بِرَهْبَةٍ

وَخَوْفٍ يَتَسَرَّبُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَكَادَ يَرْجِعُ إِلَى دَارِهِ .. وَلَيْتَهُ رَجَعَ يَاسَيِّدِي !!

لَقَدْ تَذَكَّرَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ شَمَاتَةَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِهِ ، وَسُخْرِيَتَهُمْ مِنْهُ ، إِذَا عَادَ إِلَيْهِمْ دُونَ أَنْ يُنَفِّذَ خُطَّتَهُ ؛ فَعَاوَدَهُ عِنَادُهُ ، وَأَمْسَكَ الْفَأْسَ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَضَرَبَ الْأَرْضَ بِقُوَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ :

ـــ لَابُدَّ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ !!

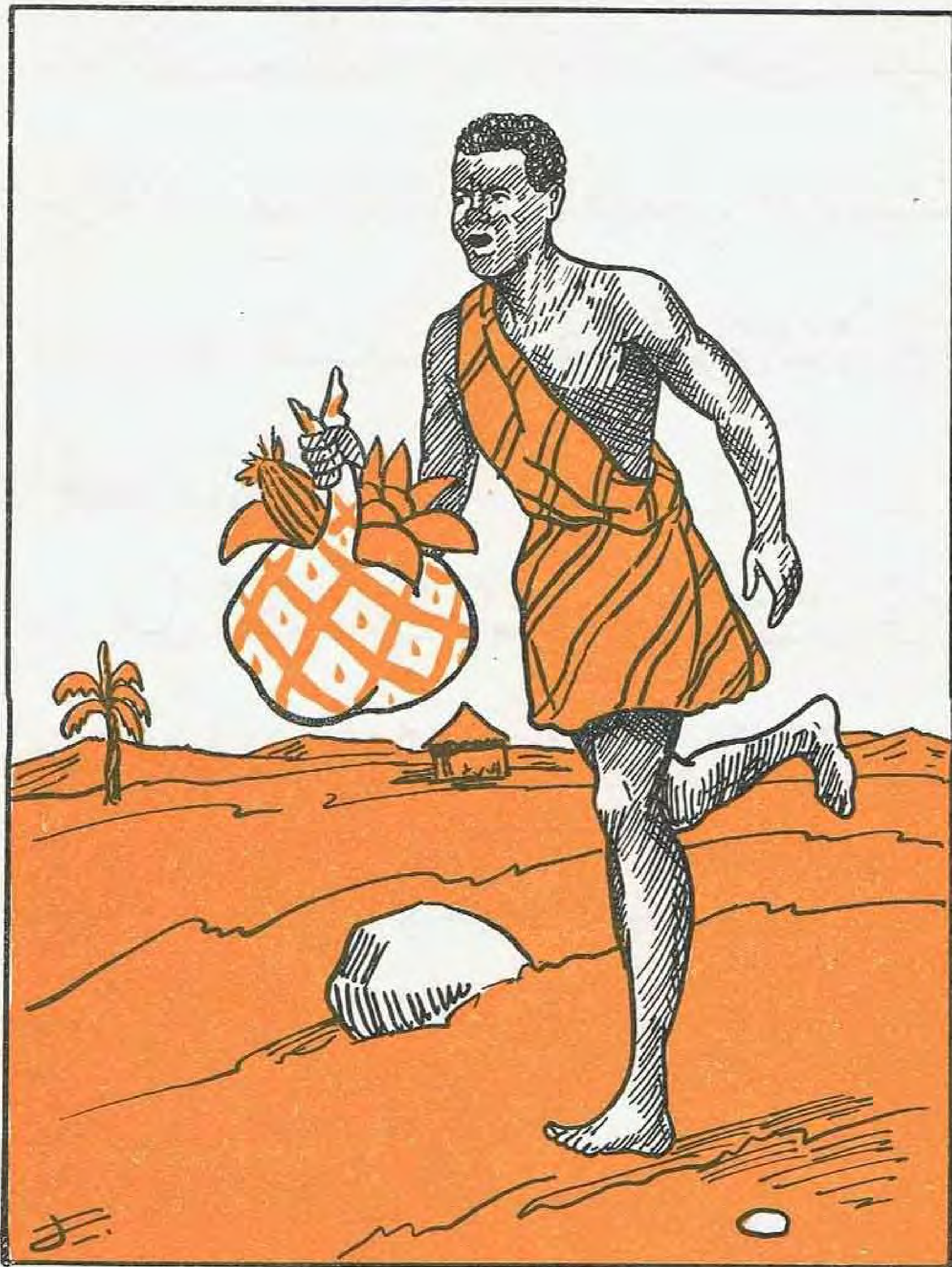
وَرَاحَ يَضْرِبُ وَيَضْرِبُ ، وَيَعْزِقُ وَيَعْزِقُ ، وَلَا يَرَى شَيْئًا ، وَلَا يَسْمَعُ شَيْئًا ، فَأَخَذَ يُغَنِّي

مِنْ جَدِيدٍ ، وَيَضْحَكُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَيَقُولُ :

ــ هَاهَا ! ! تَعَالَوْا أَيُّهَا الْحَمْقَى . تَعَالَوْا لِتَرَوْا سَابُونَا يَعْزِقُ حَقْلَ الْجِينَارُو الَّذِى كُنْتُمْ تَرْهَبُونَهُ ، وَتَخْشَوْنَ بَأْسَهُ ! !

وَبَعْدَ مُدَّةٍ شَعَرَ بِالتَّعَبِ ، فَرَكَزَ الْفَأْسَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا ، لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلاً ثُمَّ يَعُودَ إِلَى عَمَلِهِ . . وَبَيْنَمَا هُوَ وَاقِفٌ سَمِعَ صَوْتاً خَافِتاً جِدّاً ، يُشْبِهُ طَنِينَ الذُّبَابَةِ ، يَقُولُ لَهُ :

ــ أَهْلاً بِكَ يَاسَابُونَا ! ! إِنَّكَ أَشْجَعُ النَّاسِ وَأَعْقَلُ النَّاسِ ! !



وحمل بعض الخضر وسار إلى المدينة (صفحة ٢٤)

الْتَفَتَ سَابُونَا يَمِيناً وَشِمَالاً فَلَمْ يَرَ شَيْئاً حَوْلَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمْسَكَ فَأْسَهُ ، وَاسْتَعَدَّ لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ . . وَلَكِنَّهُ سَمِعَ الصَّوْتَ مَرَّةً أُخْرَى يَقُولُ :

ـ هَلْ أَنْتَ خَائِفٌ يَاسَابُونَا ؟ ! لِمَاذَا تَخَافُ؟؟ إِنَّنِي لَمْ أَصْنَعْ شَيْئاً يَدْعُوكَ لِلْخَوْفِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْقِتَالِ . . وَحَتَّى لَوْ كُنْتُ شِرِّيراً كَمَا تَعْتَقِدُونَ فَمَا اسْتَطَعْتُ بِسَبَبِ ضَعْفِي ، أَنْ أُلْحِقَ بِكَ أَذًى أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْقَوِيُّ ! !

وَكَانَ الصَّوْتُ هَادِئاً وَرَقِيقاً ، وَفِيهِ كَثِيرٌ

مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلامِ ، فَاطْمَأَنَّ سابُونا وَأَعادَ الْفَأْسَ إِلَى وَضْعِها الْأَوَّلِ وَاتَّكَأَ عَلَيْها كَما كانَ مِنْ قَبْلُ ، وَسَأَلَ صاحِبَ الصَّوْتِ قائِلاً :

ـ مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ تَقِفُ ؟ وَلِماذا لا تَظْهَرُ لِي ؟!

فَأَجابَ :

ـ أَنا الْجِينارُو الَّذِي تَظُنُّونَهُ وَتُسِيئُونَ بِهِ الظَّنَّ يا صَدِيقِي !! وَلَوْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الظُّهُورَ لِعَيْنَيْكَ لَظَهَرْتُ ، لِأُرَحِّبَ بِكَ وَأَحْتَفِلَ بِقُدُومِكَ ، وَلَكِنَّ جِسْمِي مِنَ الْهَواءِ .. وَأَنا صَغِيرٌ ، صَغِيرٌ جِدًّا لا يَزِيدُ طُولِي عَلَى الشِّبْرِ .. اُنْظُرْ إِلَى الْغُصْنِ

لِصَّغِيرِ الَّذِى بِجَانِبِكَ ، إِنَّهُ يَهْتَزُّ لِأَنِّي جَالِسٌ فَوْقَهُ ! !

أَدَارَ سَابُونَا عَيْنَهُ إِلَى الشَّجَرَةِ الْوَحِيدَةِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى حَافَةِ الْحَقْلِ ، فَرَأَى أَغْصَانَهَا وَفُرُوعَهَا سَاكِنَةً لَا تَتَحَرَّكُ ، وَرَأَى غُصْنًا حَدِيثًا فِيهَا ، يَعْلُو وَيَهْبِطُ ، وَيَهْتَزُّ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَعَرَفَ أَنَّهُ الْغُصْنُ الَّذِى يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَسَارَ إِلَيْهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ وَهُوَ يَقُولُ بِشَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ :

ــ الْآنَ وَجَدْتُكَ يَا صَدِيقِي الْجِينَارُو ، فَامْدُدْ يَدَكَ وَسَلِّمْ عَلَيَّ ، إِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ لَطِيفٌ

وَمُهَذَّبٌ ! !

أَحَسَّ سَابُونَا بِلَمْسَةٍ فِي يَدِهِ ، تُشْبِهُ لَمْسَةَ الْهَوَاءِ ، وَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ :

ـ أَحْسَنْتَ يَاسَابُونَا إِذْ سَلَّمْتَ عَلَيَّ !! لَقَدْ تَصَافَحْنَا الْآنَ وَتَعَاهَدْنَا عَلَى الْمُسَالَمَةِ وَالْحُبِّ . . وَلَنْ أَخْشَى مِنْكَ شَرًّا ! !

وَالْآنَ هَيَّا إِلَى الْعَمَلِ ! ! إِنَّنِي مُسْتَعِدٌّ لِبَذْلِ كُلِّ مَا أَسْتَطِيعُ فِي خِدْمَتِكَ ، وَمُسَاعَدَتِكَ عَلَى زِرَاعَةِ الْحَقْلِ ! ! لَقَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ وَأَذُوبُ أَسَفًا وَحَسْرَةً وَأَقُولُ :

ـ عَجَباً لِهؤُلاءِ النَّاسِ . . يَتْرُكُونَ هذهِ الْأَرْضَ

الْخِصْبَةَ الَّتِي مَنَحَهَا اللهُ لَهُمْ ، دُونَ زَرْعٍ وَاسْتِغْلالٍ !!

إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَ الْأَرْضَ الصَّالِحَةَ دُونَ

اسْتِغْلالٍ ! !

فَقَالَ سَابُونَا :

ـ وَلِماذا لَمْ تَزْرَعْهَا أَنْتَ ، مَا دامَ هذا رَأْيُكَ

يا صَدِيقِي ! !

فَأَجَابَ قائِلًا :

ـ لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ كَيْفَ تُزْرَعُ الْأَرْضُ ، ما تَرَكْتُها

مُهْمَلَةً مُجْدِبَةً ! ! وَلكِنِّي الْآنَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقَلِّدَكَ

وَأَصْنَعَ مِثْلَمَا تَصْنَعُ ؟!

فَتَعَجَّبَ سَابُونَا وَقَالَ :

ـــ إِنَّنِى أَعْزِقُ بِفَأْسٍ ثَقِيلَةٍ عَلَيْكَ .. فَكَيْفَ تُقَلِّدُنِى وَتَعْزِقُ الْأَرْضَ مِثْلِى ؟!

فَقَالَ الْجِبنارُو :

ـــ لَا يَا سَابُونَا !! إِنَّ لِى وَسِيلَتِى الَّتِى أَعْزِقُ بِهَا. إِنَّ فَأْسِى غَيْرُ فَأْسِكَ .. وَسَتَرَى الْآنَ مَا أَفْعَلُ !!

* * *

لَمْ يَسْمَعْ سَابُونَا فِى هَذِهِ الْمَرَّةِ طَنِينَ الذُّبَابِ ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ صَفِيرًا طَوِيلًا خَافِتًا ، كَصَفِيرِ الرِّيحِ فِى

الْغَابَةِ .. وَمَا كَادَ الصَّفِيرُ يَنْقَطِعُ ، حَتَّى رَأَى

عَدَدًا كَبِيرًا جِدًّا مِنَ الْحِجَارَةِ الرَّقِيقَةِ الصَّغِيرَةِ ،

تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ فَوْقَ سَطْحِ الْحَقْلِ ، وَتُحْدِثُ فِيهِ

حُفَرًا وَخُطُوطًا مُتَوَازِيَةً ، كَخُطُوطِ الْمِحْرَاثِ ،

وَسَمِعَ الصَّوْتَ يُنَادِيهِ وَيَقُولُ :

ـــ نَحْنُ نَعْمَلُ الْآنَ يَا صَدِيقِي ، فَهَلْ أَنْتَ

رَاضٍ عَنْ عَمَلِنَا ؟ وَهَلْ يُعْجِبُكَ حَرْثُنَا ؟!

إِنَّنِي لَا أُنْكِرُ أَنَّنَا نَجْهَلُ الزِّرَاعَةَ ، وَلَكِنَّنَا

نُتْقِنُ تَقْلِيدَ كُلِّ عَمَلٍ نَرَاهُ .. إِنَّ التَّقْلِيدَ

هُوَ الْمِيزَةُ الَّتِي خَصَّنَا اللَّهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ مَخْلُوقَاتِهِ

الْكَثِيرَةِ ، فَمَا رَأْيُكَ ؟ أَنَسْتَمِرُّ فِي عَمَلِنَا ، أَوْ لَكَ رَغْبَةٌ فِي تَعْدِيلِهِ ؟!

وَضَعَ سَابُونَا يَدَهُ فِي وَسَطِهِ وَوَقَفَ بِكِبْرِيَاءَ ، كَمَا يَقِفُ مُلَاحِظُ الْعُمَّالِ فِي الْعَادَةِ ، وَقَالَ :

ــ أَحْسَنْتَ يَا صَدِيقِي !! اسْتَمِرُّوا فِي عَمَلِكُمْ .. لَا اعْتِرَاضَ لِي عَلَيْهِ !!

فَقَالَ الْجِبنَارُو :

ــ شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدِي عَلَى هَذَا الْمَدْحِ !! إِنَّنِي كُنْتُ وَاثِقًا أَنْ أَنَالَ رِضَاكَ .. وَتَسْتَطِيعُ

الآنَ أنْ تعودَ إلى منزِلكَ ، وفي الصَّباحِ يُمْكِنُكَ أنْ تأتيَ لتُعلِّمَنا الخُطوةَ التَّاليةَ ، فما أظُنُّ أنَّنا نَنْتهي مِنَ العَزْقِ قبْلَ غدٍ !!

— ٥ —

رَجعَ سابُونا إلى مَنْزِلِهِ فرِحاً مسْرُورًا ، فاستَقْبلتْهُ زوْجتُهُ ، وسألتْهُ عنْ سبَبِ فرَحِهِ ، ولكنَّهُ تهرَّبَ مِنْ إجابتِها ، ولمْ يزِدْ على قوْلِهِ :

— غداً ترَيْنَ وتعْلَمِينَ ! !

وفي الصَّباحِ المُبكِّرِ ، ملأَ غِرارةً كبِيرةً بحُبُوبِ الذُّرةِ ، وحمَلها على كتِفيْهِ القوِيَّتيْنِ ، وسارَ بِها

إِلَى الْحَقْلِ وَهُوَ لَا يَكَادُ يَشْعُرُ بِثِقَلِ حِمْلِهِ ، لِشِدَّةِ فَرَحِهِ ! !

وَعِنْدَ حَافَةِ الْحَقْلِ وَضَعَ الْغِرَارَةَ ، وَنَظَرَ فَوَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ، فَقَالَ :

ـــ شُكْراً لَكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْمُخْلِصُ النَّشِيطُ !!

وَفَتَحَ الْغِرَارَةَ وَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ الْبُذُورِ ، وَرَاحَ يَضَعُهَا فِي الْحُفَرِ (الْجُوَرِ) بِعِنَايَةٍ . .

وَإِذَا بِهِ يَرَى الْبُذُورَ تَرْتَفِعُ مِنَ الْغِرَارَةِ ، وَتَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ تَسْقُطُ فِي الْحُفَرِ ، كَأَنَّهَا قَطَرَاتُ الْمَطَرِ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَعَجَّبَ كَثِيراً حِينَمَا

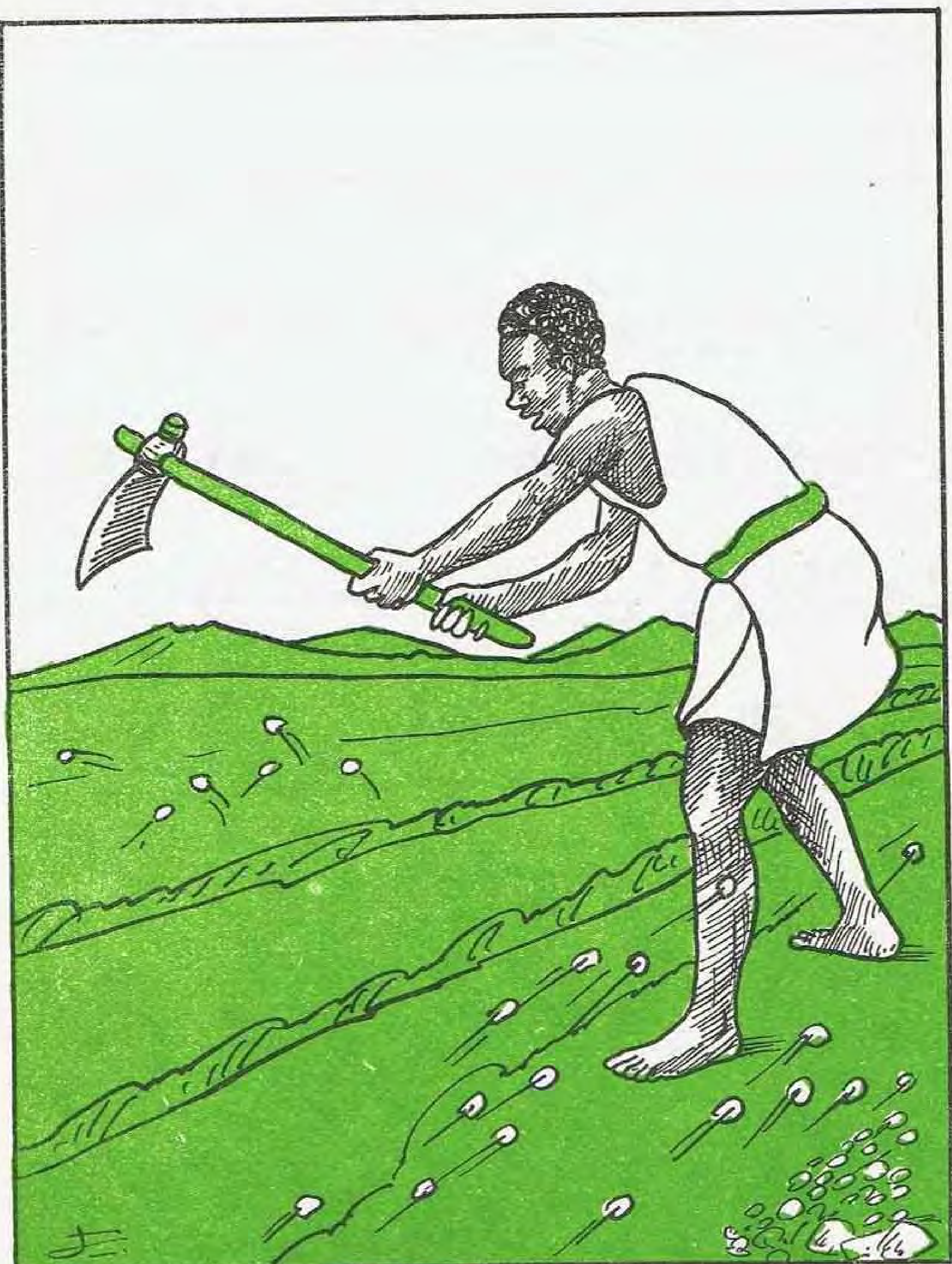
رَأَى كُلَّ بَذْرَةٍ تَسْقُطُ فِي حُفْرَتِهَا تَمَامًا ، دُونَ أَنْ يَتَنَاثَرَ مِنْهَا شَيْءٌ خَارِجَ الْحُفَرِ ! !

وَمَرَّةً أُخْرَى سَمِعَ الْجِبنَارُو يَقُولُ :

ـ هَلْ أَحْسَنَّا وَضْعَ الْبُذُورِ يَاصَدِيقِي ؟ ! هَا هَا ! ! أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّنَا أَمْهَرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي التَّقْلِيدِ ؟! وَالْآنَ مَاذَا بَقِيَ مِنَ الْعَمَلِ ؟ !

اِهْتَزَّ سَابُونَا طَرَبًا وَقَالَ :

ـ جَمِيلٌ !! حَسَنٌ !! إِنَّنِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَشْكُرُكَ يَاصَدِيقِي !! وَالْآنَ يَجِبُ أَنْ نُغَطِّيَ الْبُذُورَ هَكَذَا ..



وعند حافة الحقل وضع الغرارة .. ص٤٥

وَأَمْسَكَ قَلِيلاً مِنَ التُّرَابِ وَغَطَّى بِهِ حُفْرَةً

مِنَ الْحُفَرِ ، وَفِي لَحَظَاتٍ قِصَارٍ ، غُطِّيَتِ الْحُفَرُ

كُلُّهَا ، وَلَمْ يَعُدْ شَيْءٌ مِنَ الْبُذُورِ مَكْشُوفاً !!

وَهُنَا وَقَفَ سَابُونَا يُفَكِّرُ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ لَحْظَةٍ:

ــ إِنَّ مَوْسِمَ الْمَطَرِ لَايَزَالُ بَعِيداً ؛ وَلِذَلِكَ يَجِبُ

أَنْ نَشُقَّ الْقَنَوَاتِ ، لِنَرْوِيَ الْحَقْلَ مِنَ النَّهْرِ ..

إِنَّ الْبُذُورَ لَا تَنْبُتُ بِغَيْرِ مَاءٍ !!

فَقَالَ الْجِينَارُو :

ــ حَسَنٌ إِنَّكَ رَجُلٌ نَشِيطٌ وَحَازِمٌ يَاصَدِيقِي

سَابُونَا !! هَيَّا عَلِّمْنَا كَيْفَ نَشُقُّ الْقَنَوَاتِ ،

وَكَيْفَ نَنْقُلُ إِلَيْهَا الْمَاءَ ؟!

أَمْسَكَ سَابُونَا بِفَأْسِهِ ، وَرَاحَ يَصْنَعُ قَنَاةً ، فَقَالَ الْجِبنارو :

ـ كَفَى !! الْآنَ عَرَفْتُ مَا تُرِيدُ .. اسْتَرِحْ أَنْتَ وَسَتَرَى مَا يُعْجِبُكَ !!

وَتَحَرَّكَتِ الْحِجَارَةُ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْحَقْلِ ، لِتَصْنَعَ الْقَنَوَاتِ الْمَطْلُوبَةَ !!

وَهُنَا سَمِعَ صَوْتَ الْجِينَارُو يَقُولُ :

ـ تَسْتَطِيعُ الْآنَ يَا صَدِيقِي سَابُونَا أَنْ تَعُودَ إِلَى بَيْتِكَ مُطْمَئِنًّا إِلَى عَمَلِنَا . وَلَكِنْ لَا تَنْسَ أَنْ تُعَلِّمَنَا

غَداً كَيْفَ نَنْقُلُ الْمَاءَ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْحَقْلِ . .

إِنَّ شَقَّ الْقَنَوَاتِ سَيَتِمُّ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ !!

❦ ❦ ❦

وَمَا كَادَتْ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالِى تُشْرِقُ ، حَتَّى كَانَ سَابُونَا فِى الْحَقْلِ ، وَمَعَهُ جِلْدُ ثَوْرٍ كَبِيرٍ ، وَرَاحَ يَقْطَعُ مِنْهُ قِطْعَةً ، وَيَصْنَعُ دَلْواً . . وَإِذَا بِهِ يَرَى الْجِلْدَ يُمَزَّقُ قِطَعاً صَغِيرَةً ، وَتُصْنَعُ مِنْهَا دِلَاءٌ ، كُلُّ دَلْوٍ مِنْهَا ، تَصْلُحُ غِطَاءً لِأُنْمُلَةِ الْإِصْبَعِ . . إِنَّهَا الدِّلَاءُ الَّتِى تُنَاسِبُ الْجِينَارُو فِى صِغَرِهِ .

أَقْبَلَ سَابُونَا عَلَى النَّهْرِ وَمَلأَ دَلْوَهُ ، وَصَبَّهُ فِي إِحْدَى الْقَنَوَاتِ ، فَتَحَرَّكَتِ الدِّلَاءُ الصَّغِيرَةُ ، حَرَكَةً سَرِيعَةً ، وَرَاحَتْ تَغْرِفُ الْمَاءَ مِنَ النَّهْرِ ، وَتَصُبُّهُ فِي الْقَنَوَاتِ . . وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى جَرَى الْمَاءُ فِي جَوَانِبِ الْحَقْلِ ، وَقَدْ تَدَفَّقَ فِي الْأَحْوَاضِ وَمَلأَ الْحُفَرَ . . وَلَمَّا كَانَ سَابُونَا يَعْرِفُ أَنَّ السَّقْيَةَ الْأُولَى لِلْبُذُورِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بِمِقْدَارٍ ، لِكَيْلَا تَتَعَفَّنَ الْبُذُورُ وَيُصِيبَهَا الْعَطَبُ وَالتَّلَفُ ، مِنْ غَزَارَةِ الْمَاءِ – لَمَّا كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ خَشِيَ أَنْ يَزِيدَ الْمَاءُ عَلَى الْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ ،

وَلِهَذَا قَرَّرَ أَنْ يَبْقَى فِي الْحَقْلِ حَتَّى يَتِمَّ ذَلِكَ بِإِشْرَافِهِ !!

وَفِي آخِرِ النَّهَارِ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ.. عَادَ لِيَقُولَ لِزَوْجَتِهِ:

ـــ لَقَدْ زَرَعْتُهُ !! وَفِي الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ سَأُرِيكِ مَا صَنَعْتُ !!

وَلَكِنَّهُ لِشِدَّةِ فَرَحِهِ، كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى الْحَقْلِ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءَهُ.. وَمَا كَادَ يَرَى بَوَادِرَ النَّبَاتِ تَظْهَرُ فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ، حَتَّى رَاحَ يَرْقُصُ وَيُغَنِّي، وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

ـــ شُكْرًا لَكَ يا صَدِيقِي الْجِينارُو! شُكْرًا! شُكْرًا !!

وَعِنْدَئِذٍ سَمِعَ الْجِينارُو يَقُولُ :

ـــ هَلْ أَنْتَ مَسْرُورٌ حَقًّا يا سابُوبا ؟ ! لَقَدْ وَفَيْتُ بِوَعْدِي لَكَ .. وَقَدْ صِرْتَ الْآنَ تَمْلِكُ مَزْرَعَةً كَبِيرَةً ، لا يَمْلِكُ مِثْلَها أَحَدٌ فِي الْقَرْيَةِ ، فَما حاجَتُكَ إِلَى مَزْرَعَةِ أَبِيكَ ؟! أَظُنُّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتْرُكَها لِأَخِيكَ الصَّغِيرِ ، أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُدَّ إِلَيْهِ نَصِيبَهُ الَّذِي اغْتَصَبْتَهُ مِنْهُ ! !

ذُعِرَ سَابُونَا عِنْدَمَا سَمِعَ الْجُمْلَةَ الْأَخِيرَةَ مِنَ الْجِينَارُو ، وَقَالَ بِسُرْعَةٍ :

ــ كَلَّا يَا صَدِيقِي !! إِنَّنِي لَمْ أَغْتَصِبْ مِنْ أَخِي شَيْئًا .. لَقَدْ وَجَدْتُهُ صَغِيرًا لَا يَصْلُحُ لِاسْتِغْلَالِ الْمَزْرَعَةِ ، وَلَا يَقْوَى عَلَى خِدْمَتِهَا ، فَتَوَلَّيْتُ أَنَا اسْتِغْلَالَهَا وَخِدْمَتَهَا إِلَى أَنْ يَكْبَرَ وَيَصْلُحَ لِلْعَمَلِ !!

وَهُنَا ضَحِكَ جَمَالٌ وَقَالَ :

ــ لَقَدْ تَأَكَّدَ عِنْدِي الْآنَ أَنَّ سَابُونَا كَانَ وَاحِدًا مِنَ الْمُسْتَعْمِرِينَ ! !

وَنَظَرَ إِلَى مَمَادُو وَقَالَ :

ـــ هَذَا مَا كَانَ يَقُولُهُ الْمُسْتَعْمِرُونَ يَا صَدِيقِي ، كُلَّمَا احْتَلُّوا أَرْضاً إِفْرِيقِيَّةً . . كَانُوا يَقُولُونَ لِسُكَّانِهَا : أَنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْتَغِلُّوا أَرْضَكُمْ وَخَيْرَاتِ بِلَادِكُمْ ، وَسَنَسْتَغِلُّهَا بِالنِّيَابَةِ عَنْكُمْ ، ثُمَّ نَتْرُكُهَا لَكُمْ مَتَى أَصْبَحْتُمْ قَادِرِينَ !!

ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى أَمَاجِي وَسَأَلَهُ :

ـــ وَهَلِ اقْتَنَعَ الْجِينَارُو بِكَلَامِ سَابُونَا ؟!

فَقَالَ أَمَاجِي :

ـــ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ارْتَفَعَ صَوْتُ الْجِينَارُو بِضِحْكَةٍ

سَاخِرَةٍ ، وَقَالَ : عَجَباً لَكُمْ يَابَنِي آدَمَ !!

إِنَّكُمْ أَقْدَرُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ عَلَى الدِّفَاعِ عَنْ ظُلْمِكُمْ..

إِنَّ الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَنْسُبُونَ إِلَيْهَا كُلَّ شَرٍّ وَظُلْمٍ ،

تَخْجَلُ مِنْ ظُلْمِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَحْيَاناً !!

لَا .. لَا يَاصَدِيقِي سَابُونَا ، يَجِبُ أَنْ تَرُدَّ

لِأَخِيكَ نَصِيبَهُ ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي

مُسَاعَدَتِكَ !!

ضَحِكَ سَابُونَا ضِحْكَةً مَاكِرَةً ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ

أَنَّهُ سَيَخْدَعُ الْجِينَارُو ، فَقَالَ لَهُ :

ـــ أَوْهِ !! هَلْ غَضِبْتَ مِنِّي يَاصَدِيقِي الْعَزِيزَ؟!

لَا .. لَا .. إِنَّنِى مُسْتَعِدٌّ لِتَنْفِيذِ كُلِّ مَا تَأْمُرُ بِهِ فِى الْحَالِ .. سَأَرُدُّ الْمَزْرَعَةَ كُلَّهَا لِأَخِى ، وَسَأَرْعَاهُ وَأُشْرِفُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَعْمَلُ فِيهَا .. فَاطْمَئِنَّ أَيُّهَا الصَّدِيقُ !!

– ٦ –

وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٌ وَأَسَابِيعُ ، وَكَانَ سَابُونَا يَأْخُذُ زَوْجَتَهُ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ ، إِلَى الْحَقْلِ ، وَهُنَاكَ يُمَنِّيهَا بِمُسْتَقْبَلٍ سَعِيدٍ ، وَيُحَدِّثُهَا عَنِ الْبَيْتِ الَّذِى سَوْفَ يَبْنِيهِ لَهَا ، وَعَنِ الْبَقَرَاتِ الَّتِى سَيَشْتَرِيهَا مِنْ غَلَّةِ الْمَزْرَعَةِ ، وَعَنِ الثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ

الَّتِي سَيَمْلِكُهَا ، وَالَّتِي سَتَجْعَلُ سُكَّانَ الْقَرْيَةِ جَمِيعًا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا ! !

وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ كُلَّمَا رَأَتِ الذُّرَةَ نَامِيَةً فِي الْحَقْلِ ، أُعْجِبَتْ بِهِ أَشَدَّ إِعْجَابٍ ، وَقَالَتْ لَهُ :

ــ لَقَدْ بَرْهَنْتَ يَا سَابُونَا عَلَى أَنَّكَ رَجُلٌ غَيْرُ كُلِّ الرِّجَالِ ! ! أَمَّا سُكَّانُ الْقَرْيَةِ وَالْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ ، فَصَارُوا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ نَجَاحِ سَابُونَا بِحَسَدٍ وَغَيْرَةٍ ، وَيَقُولُونَ كُلَّمَا مَرُّوا بِالْحَقْلِ :

ــ مَا أَذْكَى سَابُونَا ، وَمَا أَشْجَعَ قَلْبَهُ ! ! لَقَدْ كَانَ عَلَى حَقٍّ دَائِمًا ، وَكُنَّا نَحْنُ عَلَى بَاطِلٍ ، حِينَمَا

صَدَّقْنَا خُرَافَةَ الْجِينَارُو !!

، ، ،

وَرَجَعَ سَابُونَا إِلَى بَيْتِهِ ذَاتَ مَسَاءٍ ، وَقَدِ ارْتَفَعَتْ حَرَارَتُهُ ، وَرَاحَ يَرْتَعِشُ مِنْ أَلَمِ الْحُمَّى ، وَمَا كَادَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، حَتَّى أَخَذَ يَهْذِي وَيَتَكَلَّمُ كَلَامًا غَيْرَ مَفْهُومٍ وَلَا مَعْقُولٍ !!

فَذُعِرَتْ زَوْجَتُهُ ، وَاسْتَدْعَتْ سَاحِرَ الْقَرْيَةِ ، لِيُعَالِجَهُ مِنَ الْحُمَّى . . وَلَكِنَّ السَّاحِرَ نَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً سَرِيعَةً ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهُ ، وَقَالَ :

— هَذِهِ لَعْنَةُ الْجِينَارُو الَّتِي حَذَّرْتُهُ مِنْهَا !!

إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامِى ، وَلَمْ يُصَدِّقْ تَحْذِيرِى ، وَقَدْ وَقَعَ الْآنَ صَرِيعَ الْحُمَّى مِنْ عَمَلِ الْجِينَارُو وَلَا شَكَّ !!

بَكَتِ الزَّوْجَةُ وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَجِدَ طَرِيقَةً لِتَخْفِيفِ أَلَمِهِ ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَجْرًا كَبِيرًا .. طَلَبَ بَقَرَةً حَمْرَاءَ !!

فَتَذَكَّرَتِ الْبَقَرَاتِ الْحُمْرَ ، الَّتِى قَدَّمَهَا سَابُونَا مَهْرًا لَهَا ، فَأَخَذَهَا أَبُوهَا لِيَسْتَغِلَّهَا نَظِيرَ انْتِقَالِهَا إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا ، كَمَا هِىَ الْعَادَةُ هُنَاكَ .

ذَهَبَتِ الزَّوْجَةُ إِلَى أَبِيهَا بَاكِيَةً دَامِعَةَ الْعَيْنِ ،

وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا أَصَابَ زَوْجَهَا ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ إِحْدَى الْبَقَرَاتِ ، وَوَعَدَتْهُ أَنْ تَرُدَّهَا إِلَيْهِ قَرِيباً عِنْدَمَا يَبِيعُ سَابُونَا غَلَّةَ الْحَقْلِ !!

وَلَمَّا اطْمَأَنَّ السَّاحِرُ إِلَى أَجْرِهِ ، بَدَأَ يُعَالِجُ سَابُونَا بِبَعْضِ الْأَعْشَابِ الَّتِى أَخَذَ يَقْرَأُ عَلَيْهَا كَثِيراً مِنَ التَّعَاوِيذِ وَالرُّقَى . وَخَفَّتْ وَطْأَةُ الْحُمَّى عَنْ سَابُونَا ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَنَبَّهَ لِمَنْ حَوْلَهُ ، وَسَمِعَ السَّاحِرَ يَقُولُ :

— لَقَدِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُرْضِىَ الْجِنَّ قَلِيلاً ، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْضِيَاتٍ أُخْرَى ..

لَابُدَّ مِنْ بَقَرَةٍ ثَانِيَةٍ إِذَا كُنْتِ تُرِيدِينَ

شِفَاءً عَاجِلًا لِزَوْجِكِ الْعَزِيزِ ! !

وَكَانَ سَابُونَا قَدْ سَمِعَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ ،

وَفَهِمَهَا فَهْمًا جَيِّدًا ، فَقَالَ :

ـــ كَلَّا أَيُّهَا السَّاحِرُ ! ! لَنْ نَدْفَعَ لَكَ

شَيْئًا آخَرَ . إِنَّنِي أَعْرِفُ كَيْفَ أُرْضِي الْجِنَارُو ،

وَاتَّجَهَ إِلَى زَوْجَتِهِ ، وَقَالَ لَهَا :

ـــ عَرَفْتُ سَبَبَ غَضَبِهِ عَلَيَّ ! ! إِنَّنِي

لَمْ أُنَفِّذِ الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدْتُهُ بِهِ ! !

هَيَّا أَحْضِرِي أَخِي الصَّغِيرَ . . لَابُدَّ أَنْ

أُعِيدَ إِلَيْهِ مَزْرَعَتَهُ فِى الْحَالِ ! !

❧ ❧ ❧

وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى تَحَسَّنَ سَابُونَا تَحَسُّنًا وَاضِحًا مَلْحُوظًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْحَقْلِ ، فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ :

ـ لَقَدْ بَدَأَتِ الطُّيُورُ وَالْعَصَافِيرُ تَنْزِلُ فِى الْحَقْلِ ، وَتُتْلِفُ الزِّرَاعَةَ ، فَيَجِبُ أَنْ تَذْهَبِى إِلَيْهِ وَتُطَارِدِى الْعَصَافِيرَ . . وَلَنْ تُكَلِّفَكِ الْمُطَارَدَةُ عَنَاءً كَثِيرًا ، فَيَكْفِى أَنْ تَبْدَئِى رَمْيَهَا بِالْحَصَى ، لِيُقَلِّدَكِ الْجِينَارُو وَيَتَوَلَّى هُوَ

وَأَعْوَانُهُ هَذِهِ الْمُطَارَدَةَ ! !

خَافَتِ الزَّوْجَةُ وَتَرَدَّدَتْ كَثِيراً .. خَافَتْ أَنْ تَرَى الْجِينَارُو يُؤَدِّى عَمَلاً أَمَامَهَا . وَلَكِنَّهَا تَنْفِيذاً لِرَغْبَةِ زَوْجِهَا ، سَارَتْ إِلَى الْحَقْلِ ، وَقَلْبُهَا يَمْتَلِئُ خَوْفاً وَرُعْباً ! !

وَهُنَاكَ وَجَدَتِ الْعَصَافِيرَ قَدْ حَطَّتْ فَوْقَ أَعْوَادِ الذُّرَةِ ، وَرَاحَتْ تَنْقُرُ حُبُوبَهَا وَتَأْكُلُهَا بِشَرَاهَةٍ وَنَهَمٍ ، فَمَلأَتْ يَدَهَا بِالْحَصَى ، وَرَمَتْ بِهِ الْعَصَافِيرَ ، فَانْدَفَعَ الْحَصَى مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي الْحَقْلِ ،



فملأت يدها بالحصى ورمت .. ص ٦٤

يُطَارِدُ الْعَصَافِيرَ وَيَتْبَعُهَا حَيْثُمَا طَارَتْ !!

وَقَفَتْ فِي مَكَانِهَا وَهِيَ مُعْجَبَةٌ أَشَدَّ الْإِعْجَابِ بِقُدْرَةِ الْجِينَارُو ، وَكَانَتْ تَشْكُرُهُ فِي نَفْسِهَا ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَرِّكَ لِسَانَهَا بِذِكْرِ اسْمِهِ . . وَأَخِيرًا شَعَرَتْ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ ، فَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى عُودٍ مِنْ أَعْوَادِ الذُّرَةِ ، وَقَطَعَتْهُ لِتَمُصَّ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ !!

وَلَكِنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ مَصَّهُ ، سَمِعَتْ الْجِينَارُو يَقُولُ :

ـ لَا تُتْعِبِي نَفْسَكِ !! كَفَى !! كَفَى !!

لَقَدْ عَرَفْنَا الْآنَ كَيْفَ نَحْصُدُ الْحَقْلَ ! !

وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا سَاعَةٌ وَبَعْضُ سَاعَةٍ ،

حَتَّى كَانَ هَذَا الْحَقْلُ الْفَسِيحُ مَحْصُودًا ،

وَكَانَتْ أَعْوَادُ الذُّرَةِ مَطْرُوحَةً وَمُلْقَاةً

عَلَى الْأَرْضِ كَمَا رَأَيْتَهَا يَاسَيِّدِى . .

لَمْ يَبْقَ فِيهِ عُودٌ وَاحِدٌ قَائِمًا عَلَى سَاقِهِ ! !

وَهُنَا سَأَلَ جَمَالٌ :

— وَمَاذَا صَنَعَ سَابُونَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟ !

فَتَوَلَّى مَمَادُو تَكْمِلَةَ الْقِصَّةِ كَمَا

يَعْرِفُهَا وَقَالَ :

ـــ شَعَرَ سَابُونَا بَعْدَ خُرُوجِ زَوْجَتِهِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْمَشْيِ وَالْحَرَكَةِ ، فَسَارَ إِلَى الْحَقْلِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي كَانَ الْجِينَارُو قَدْ حَصَدَهُ فِيهَا . وَرَأَتْ عَيْنَاهُ هَذِهِ الْمُفَاجَأَةَ الْمُذْهِلَةَ ، وَمَا كَادَ يَسْمَعُ مِنْ زَوْجَتِهِ مَا حَدَثَ مِنْهَا ، حَتَّى عَرَفَ أَنَّ الْجِينَارُو غَرَّرَ بِهِ وَخَدَعَهُ ، فَرَاحَ يَشُدُّ شَعْرَهُ مِنَ الْغَيْظِ . .

وَهُنَا سَمِعَ الْجِينَارُو يَقُولُ :

ـــ لَا . . لَا . . لَاتَعْمَلْ شَيْئًا بِيَدِكَ ، لَقَدْ

تَعَاهَدْنَا عَلَى أَنْ نُقَدِّمَ لَكَ كُلَّ مُسَاعَدَةٍ ،

فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُسَاعِدَكَ فِي قَلْعِ الشَّعَرِ ،

كَمَا سَاعَدْنَا زَوْجَتَكَ فِي حَصْدِ الْحَقْلِ ! !

وَذُعِرَتِ الزَّوْجَةُ أَشَدَّ ذُعْرٍ ، حِينَمَا رَأَتْ

زَوْجَهَا يَصْرُخُ وَيَتَلَوَّى مِنَ الْأَلَمِ ، وَرَأْسُهُ

يَخْلُو مِنَ الشَّعَرِ شَيْئًا فَشَيْئًا ! !

وَلَوْلَا أَنَّهَا تَنَبَّهَتْ وَجَذَبَتْهُ بِشِدَّةٍ خَارِجَ

الْحَقْلِ ، مَا سَلِمَ مِنْ شَرِّ الْجِبنَادُو ! !

وَصَمَتَ مَمَادُو قَلِيلًا ، ثُمَّ عَادَ يَقُولُ لِجَمَالٍ :

ـ هَلِ الْعَقْلُ الْكَبِيرُ الَّذِى اخْتَرَعَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ،

كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُشَجِّعَنَا بِهَا عَلَى طَرْدِ الْفَرَنْسِيِّينَ مِنْ
بِلَادِنَا ، كَمَا طَرَدَ الْجِنِرَال سَابُونَا ؟ !

فَابْتَسَمَ جَمَالٌ وَقَالَ :

ـ هَذَا صَحِيحٌ ! !

وَالْآنَ قَدْ طَرَدْتُمُ الْمُسْتَعْمِرِينَ ، فَيَجِبُ
عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَغِلُّوا هَذِهِ الْأَرْض ، كَمَا تَسْتَغِلُّونَ
كُلَّ شَيْءٍ فِي الْبِلَادِ ! !

❦ ❦ ❦

وَهُنَا كَانُوا قَدْ وَصَلُوا إِلَى مَدِينَةِ تُمْبُكْتُو ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا
مَمَادُو قَائِلاً : لَقَدْ أَصْبَحَتْ مَدِينَةً أَثَرِيَّةً ، بَعْدَ

أَنْ كَانَتْ أَكْبَرَ الْمُدُنِ فِي غَرْبِ إِفْرِيقِيَّةَ !!

فَسَأَلَهُ جَمَالٌ :

- وَلِمَ ذَلِكَ ؟!

فَأَجَابَ قَائِلاً :

لَقَدْ تَغَيَّرَتْ وَسَائِلُ النَّقْلِ ، وَأَصْبَحَتِ التِّجَارَةُ تَعْتَمِدُ عَلَى الْبَوَاخِرِ وَالطَّائِرَاتِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَعْتَمِدُ عَلَى الْقَوَافِلِ فِي الْبَرِّ !!

فَرَغِبَ جَمَالٌ أَنْ يَقْضُوا يَوْمَهُمْ فِي رُبُوعِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ ، الَّتِي انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ مِنْهَا فِي غَرْبِ إِفْرِيقِيَّةَ كُلِّهِ ، بِفَضْلِ التُّجَّارِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْزِلُونَ فِيهَا ، فَحَقَّقَ مَمَادُو رَغْبَتَهُ !!

دار مصر للطباعة

حديقة الطفل

ظهر منها

(١) السمكتان المتوحشتان .
(٢) الابرة العجيبة .
(٣) قطقوطة الجميلة .
(٤) قطعة الذهب .
(٥) بحيرة الذئب .
(٦) التمثال الباكى .
(٧) صانعة البطل .
(٨) هدية القزم .
(٩) مزرعة الأرنب .
(١٠) دموع التماسيح .
(١١) من أخلاق العرب .
(١٢) فرقة موسيقى .
(١٣) الطائر الأخضر .
(١٤) ذو الرداء الذهبى .
(١٥) شجرة الذهب .
(١٦) جندى يعود .
(١٧) فى بيت العرائس .
(١٨) حياة جديدة .
(١٩) العرش الطائر .
(٢٠) تاج الهدهد .
(٢١) الطبال الصغير .
(٢٢) مع ملك البحار .
(٢٣) أحذية الأميرات .
(٢٤) التفاحة العجيبة .
(٢٥) راس الشيطان .
(٢٦) مغنى الامبراطور .
(١٧) الصندوق الطائر .
(٢٨) ثورة جزيرة .
(٢٩) خرطوم الفيل .
(٣٠) بنت امير الشمس
(٣١) ارض الأحرار .
(٣٢) اميرة البرتقال .
(٣٣) الفلاح السعيد .
(٣٤) مثل فى الجود .
(٣٥) الأمير المتخفى .
(٣٦) داعية سلام .
(٣٧) عبيد العصا .
(٣٨) سيد الكرماء .
(٣٩) معركة حول غدير .
(٤٠) رقصات الأبطال .

يطلب من مكتبة مصر

دار مصر للطباعة